آفاق نجفية

مجلة فصلية مصورة تعنى بالدراسات والبحوث التراثية والمعاصرة
المتخصصة بشؤون النجف الأشرف

١

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م

الشيخ محمد الحسكي

النجفي

المتوفى حوالي سنة ١٢٣٠هـ

الاستاذ الشيخ: حمود الساعدي*

أبو جعفر محمد بن يونس بن الحاج راضي بن شويهي الظويهري الحميدي الربعي النسب والاصل، والنجفي الوطن والاشتغال، والحلي الدار والتنزه، والحسكي المولد والاكتساب. هكذا نسب نفسه في مقدمة كتابه الموسوم بميزان العقول في المنطق.

كان عالما جامعا، وأديا شاعرا، أخذ عن الآغا محمد باقر البهبهاني المتوفى سنة ١٢٠٦هـ والسيد مهدي الطباطبائي المتوفى سنة ١٢١٢هـ والشيخ جعفر بن الشيخ خضر الجناجني المتوفى سنة ١٢٢٨هـ. وهو خال أولاد الشيخ جعفر كاشف الغطاء المذكور. ذكر هو ذلك في احدى رسائله إلى شيخ خزاعة محسن آل غانم، وكما صرح به ابن اخته الشيخ علي الشيخ جعفر في تقريظه بخطه على ظهر براهين العقول بأن المؤلف خاله.

وكان المترجم له بالرغم من كثرة صلاته بأعيان عصره في بؤس وفقر مدقع وشقاء، لذلك امتلأت مقدمات كتبه بالشكوى من الفقر، وقد بلغ من فقره انه لم يجد قوت يومه، وهذا مما دعاه مرة أن يحترف العطارة وهي من أذل الحرف في زمانه، كما أشار هو نفسه إلى ذلك في رسالة بعث بها إلى صديق له من رؤساء قبيلة عفك. ومع هذا الفقر والحاجة كان صابرا محتسبا يكتب ويؤلف في شتى العلوم كالمنطق والرياضيات وغيرها من العلوم التي لا يحسنها فقهاء عصره حتى زيدت مؤلفاته على الخمسين، ويروى ان ابن اخته الشيخ موسى بن الشيخ جعفر المتوفى في شهر شعبان سنة ١٢٤١ هـ قال له يوما: الحمد لله يا خالي مصنفاتك كثيرة. فقال له اني أبيعها كلها اياك بقليل من حظك.

---

* أديب، كاتب، شاعر، مؤلف، مدير مكتبة الرابطة الأدبية في النجف سابقا.
عن: مجلة البلاغ الكاظمية، س٣ ع٨ لسنة ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

وأكثر مصنفاته موجودة بخطه في مكتبات النجف الخاصة، ومن بينها:

١ـ كتاب ميزان العقول في كشف أسرار غوامض حقائق مسائل علم المعقول. يقع في جزئين. الاول منهما في المطالب التصويرية، والثاني في المطالب التصديقية، صنف الجزء الاول في محلة الجامعين في الحلة في الثاني من شهر شوال سنة ١٢٢٠ هـ وفرغ منه ضحى يوم الاثنين ٢٦ ذي الحجة سنة ١٢٢٠هـ، وشرع في تصنيف الجزء الثاني في نفس التأريخ وفرغ منه ضحى يوم الاثنين٢٦ ذي الحجة سنة١٢٢٠هـ، وشرع في تصنيف الجزء الثاني في نفس التأريخ وفرغ منه في ضحى يوم الاثنين ٢٩ صفر سنة١٢٢١هـ. وقدم له مؤلفه مقدمة قيمة ذكر فيها فوائد علم المنطق والاشخاص الذين كتبوا فيه ثم الاسباب التي دعته إلى تأليفه، وترجم فيها لنفسه ووصف العصر الذي عاش فيه وصفاً دقيقاً. وقد اثبتنا قسماً منها في ترجمته هذه لاهميتها التأريخية.

٢ـ كتاب براهين العقول في كشف أسرار أئمة المعقول والمنقول. وهو شرح لتهذيب الوصول إلى علم الأصول، تصنيف العلامة الحلي حامل للمتن بـ(قال أقول) يقع في مجلدين ضخمين صنفه سنة ١٢٢٩هـ.

٣ـ البحر المحيط في اصول الفقه يقع في ثلاثة مجلدات فرغ من مجلده الاول سنة ١٢٠٠ هـ وفرغ من الثاني سنة ١٢٠١هـ.

٤ـ مختلف الانظار وطرح الافكار ستة مجلدات في الاصول.

٥ـ حجة الخصام في اصول الأحكام ثلاثة مجلدات.

٦ـ منية اللبيب في شرح التهذيب.

٧ـ موقظ الراقدين ومنبه الغافلين في المواعظ يقع في مجلدين صنفه سنة ١٢٢٨ هـ.

٨ـ الحجر الدامغ للعصاة سيما تاركي الصلاة ومانعي الزكاة صنفه سنة ١٢٢١هـ.

٩ـ حياة القلوب في المواعظ والارشاد صنفه سنة ١٢٢٦ هـ.

١٠ـ سرور الواعظين وذكرى للناظرين والسامعين. رسالة شعرية أكثرها من نظمه، أخذ معانيها من القرآن الكريم والاخبار صنفه سنة ١٢٢٧هـ.

١١ـ شرح الامثال العامية التي كانت شائعة في عصره.

١٢ ـ انارة العقول. فرغ من تأليفه يوم الجمعة ٨ شوال سنة ١٢١١هـ.

١٣ ـ فلك النجاة. فرغ من تصنيفه في شهر رجب سنة ١٢١٢هـ.

١٤ ـ مناظرات. كتاب ردود مجلد واحد.

١٥ ـ العروة الوثقى في شرح كتاب الشرايع في الفقه في عدة أجزاء ضخمة.

١٦ ـ شرح العلويات السبع لابن أبي الحديد.

١٧ ـ الجمانة البحرية (في اللغة) مادته مختصرة من بعض الكتب.

١٨ ـ شرح خلاصة الحساب للشيخ البهائي. فرغ من تصنيفه ضحى يوم الاثنين ١٣ رمضان سنة ١٢١٨هـ.

١٩ ـ بغية الصياد في معرفة الصائد والاصطياد، رسالة الفها لوالي بغداد سليمان باشا القتيل.

٢٠ ـ منهاج الأحكام في شرح درة السيد مهدي الطباطبائي.

٢١ ـ أنيس الناظر في حكايات الاوائل والأواخر.

٢٢ ـ مجموع يضم طائفة من الكتب والقصائد التي راسل بها أعيان ووجهاء عصره، وهذا المجموع، يعتبر أحسن وثيقة تأريخية بالنسبة إلى العصر الذي عاش فيه الكاتب، والعيب الوحيد في هذه الرسائل انها غير مؤرخة وهي لا تخلو من بعض الاصطلاحات العامية والكلمات الدخيلة، كما وان الكاتب قد جمع في بعضها بين الجد والهزل. توجد نسخة الاصل التي هي بخط الكاتب في مكتبة آل الجزائري في النجف، وهي ناقصة من أولها وآخرها والباقي منها (٢٢٠) صفحة، وخطها سقيم.

هذه بعض مصنفات الشيخ محمد الموجود أكثرها في مكتبات النجف الخاصة. واليك أسماء طائفة من الذين كاتبهم من أعيان عصره:

فمن علماء وفضلاء عصره: الاغا محمد باقر البهبهاني المتوفى سنة ١٢٠٦هـ، والشيخ جعفر كاشف الغطاء المتوفى سنة ١٢٢٨هـ والشيخ محسن بن الشيخ خضر الجناجي، والشيخ موسى بن الشيخ جعفر كاشف الغطاء المتوفى سنة ١٢٤١هـ والشيخ علي الفراهي، والشيخ محمد بن الحسن الفتوني، والشيخ إبراهيم بن نصار اللملومي، والشيخ حمود بن إسماعيل السلامي، والشيخ حسن الوسواسي، والشيخ محمد المؤذن والشيخ عبد الحسين المؤذن، والشيخ محمد العفجاوي، والشيخ محمد الكرعاوي، والشيخ أحمد بن عكيرش، والسيد محسن الاعرجي صاحب المحصول المتوفى سنة ١٢٢٧هـ، والشيخ نصار الجليحي، والشيخ سلمان بن

الضحاك الحلي؛ ومن ولاة بغداد وموظفي الحكومة العثمانية: عمر باشا (١١٧٧ - ١١٨٩هـ)، وسليمان باشا الكبير (١١٩٤ - ١٢١٧هـ)، وسعيد باشا بن سليمان باشا الكبير (١٢٢٨ - ١٢٣٢هـ)، وحاج علي رضا، وحاكم الحلة إسماعيل بن وهيب، وعمر اغا بن محمد من موظفي الاتراك في الحلة، وسيد محمد أمين المدرس مفتي الحلة، وملا محمود حاكم النجف وكليدار الروضة الحيدرية المتوفى سنة ١٢٣٢هـ.

ومن شيوخ ورؤساء القبائل العراقية: حمد بن حمود شيخ الخزاعل المتوفى سنة ١٢١٤هـ، وحمود ابن قرنوص من شيوخ الخزاعل، ومحسن بن غانم من شيوخ الخزاعل، وولده سلمان آل محسن أكبر شيوخ الخزاعل في أيام ولاية داود باشا، وشبيب بن محمد شيخ الاقرع، وسلمان بن داود شيخ عفك، وحاكم (حاجم) بن داود من شيوخ عفك، ومحمد بن خنفر من أعيان قبيلة عفك، وأخوه محمد بن خنفر، وحمد ابن صالح طوش شيخ العوابد، وأخطل بن ماضي شيخ آل إسماعيل، وأحمد بن محمد بن ناصر وحاج منصور أبو ضروس وخشان ورئيس الخمس من آل شاووس، والجميع من رؤساء جليحة، وسيد حسين (حسون) مكوطر رئيس أهل الملوم، وحسن بن نعمة الحلي، ومحسن بن محمد بن سلمان الحلي وحسين جلبي وغيرهم.

كما ويضم هذا المجموع طائفة من شعره. منه عدة مقاطيع باللغة العامية الدارجة في مدح الإمام علي(ع)، وقصدتين باللغة الفصحى في مدح حاجم بن داود رئيس عفك، وارجوزة هزلية، وثلاث قصائد في مدح علي باشا والي بغداد، وقصيدة في مدح أهل بلدة الملوم ورئيسهم السيد حسين (حسون) مكوطر، وقصيدة في رثاء السيد محسن الاعرجي المتوفى سنة ١٢٢٧هـ، وبند في مدح عمر أغا حاكم الحلة، وعدة مقاطيع في مدح السيد منصور من وجهاء منطقة الحسكة، وقصيدة عامية في رثاء الحسين بن علي(ع)، ومقطوعة شعرية في مدح والي الفيحاء إسماعيل بن وهيب، وأخرى في مدح شبيب شيخ الاقرع، وقصيدة في مدح جاسم بك الشاوي رئيس عشرية العبيد المتوفى بعد سنة ١٢٤١ هـ، إلى غير ذلك.

فمن شعره المثبت في المجموعة المذكورة هذه المقتطفات من الارجوزة التنية:

انا الفتى ابن يونس الفقير ... وقوته الكراث والشعير
أوصيكمُ بالعلم والصلاح ... والتّتن اللطيف والمزاح
عليك (بالأصفر) و«العمادي» ... عليهما يا صاحبي اعتمادي
قبل الشطب وندّي الأصفرا ... بماء ورد يا له معتصرا

للتتن فاعلم يـا أخـي شـرطان تبليلـك الـشطب وجمرتـان
وقـال قـوم بـل لـه شـروط ثالثهـا العـود بـه مخلـوط

إلى آخرها.

ومنه قصيدة يمدح بها قاسم بيك الشاوي شيخ عشيرة العبيد. مطلعها:

أيا مـن هامـة العليـا رقاهـا وحل من المكارم فـي ذراهـا

ومنها:

تقاصر عن مـديحك كـل مـدح فـأبلغ مـادح بـالعجز فاهـا
وأنت ابن الخضارم من (عبيـد) سموت إلى الكواكب في سماها
ذؤابة (حميـر الحمـراء) قـوم بفـيض دم العـدا رووا قناهـا

إلى آخرها وهي طويلة. والظاهر من فحوى أبياتها، انها قيلت بمناسبة مصالحة الوزير سليمان باشا القتيل لقبيلة العبيد وتقريبه لقاسم المذكور ضد شمر الجرباء سنة ١٢٢٣هـ أو سنة ١٢٣١هـ وهي السنة التي استخدم فيها سعيد باشا قاسم الشاوي والعبيد في محاربة شمر والخزاعل بالقرب من الديوانية.

ومن شعره. هذا البند اثبته في ضمن رسالة كتبها بعد سنة ١٢١٥هـ إلى حاكم الحلة عمر اغا بن محمد:

ممن يدعى الود حليف الهم والوجد. إلى من أكرم الوفد ونال غاية القصد، ومن حاز بدنياه صفات مالها حد، فذاك الماهر الباهر، جميل البطن والظاهر، صدوق فاه بالصدق، وما مال عن الحق، إلى أن يقول:

فكم جندل فرسان وكم ذلّل أقران، وكم دمر أضداد وكم أهلك حسّاد، فمن قيصر في عقله ومن حاتم في فضله ومن مصعب في مجده ومن هارون في سعده، فمنه يخفق الدهر، وفيه أشرق العصر، فتىً همته البذل وساحل جوده الفضل، ولا يعشق إلا الطعن والاطعام والاقدام والاكرام ليلا ونهارا.

وله يرثي السيد محسن بن السيد حسن الاعرجي صاحب المحصول المتوفى سنة ١٢٢٧هـ بقصيدة مطلعها:

تهـدم أركـان العـلا والمفـاخرُ وقُلَّ عُرى الإسلام والـدين حاسـرُ

فقابلها بعض ادباء عصره بالنقد والسخرية لركتها، فرد عليهم بالابيات التالية:

فيا أيها الطَّعَّان في كل مجلس ... فقد صدرت مني وما أنا شاعر
فان اشتغالي بالعلوم ولا أرى ... سواها لنا ذخرا فنعم الذخائر
فان لم يكن عذري لديك موجهاً ... فأنت بهذا الطعن باغ وجائر

وله في مدح علي باشا والي بغداد عدة قصائد ومقاطيع شعرية، منها قصيدة تشتمل على (٢٢) بيتاً مطلعها:

إلا يا أبا المعروف يابن الاطايب ... ويا عمدة الأمجاد رأس الحرايب

وختمها بقوله:

اليك أبا المعروف أمَّتْ مطيتي ... الفيافي قاطعاً للسباسب
خرجت وأهلي حازرون وما دروا ... إلى بحرك الطامي اثيرت ركائبي
فكن لي ظهيرا يا أبا الجود انني ... بليت بدهر قاتني بالمعاطب

وقال يمدحه ويهنيه بالوزارة (سنة ١٢١٧هـ) بقصيدة تشتمل على (٢٨) بيتا جاء فيها قوله:

تخر له القبائل ساجدات ... وترهبه المنية حيث عنَّا
وقد عاداه أقوام بغاة ... فدمرهم وأهلكهم وأخنى
هنيئاً بالوزارة يا (علي) ... فقد أعطاك ربك ما تمنّى
وقلدك الرياسة ثم أوصى ... بسنة من لدين الحق سنّا

الخ

وله يرثي حاجم (حاكم) بن داود بن سلمان رئيس قبيلة عفك لما قتله قومه بقصيدة تشتمل على (٣٩) بيتاً مطلعها:

صحبت الشجا والهم ما دمت ... وفارقت أيام الهنا والليالي

وله يمدح عمر باشا بهذا الموال:

يا معدن الجود يا طلج اليسار اويمن
أيضاً فلا يلتقي مثله ابحجاز او يمن
يا مطعم الضيف من رز كثير او سمن

ميـتم معاليـه لرقـاب الخـصيم او سـمن
من صرت عدنا السر والشر هج او ضـعن
من حيث ما قمطت مثلك نـساء او ضـعن
شاري خصال المـروه حـين قـالوا بـثمن
أيضاً عيون الـسخا والجـود منـك ابـثمن
يا أشوس ينحـر خيـول العـدا لـو عـدن
وان يحيـى وحاتمهـا وفـضل او معـن
داعوك علـى المرجلـه والجـود والتـدبير
الـشرع يفتـي بأنـك لهـا مقـر او معـن

هذه بعض أشعاره المثبتة في مجموعة رسائله، وله أشعار غيرها كثيرة، أشار هو إليها في بعض مؤلفاته. وأما نثره فكثير. منه مقدمات كتبه، ومن بين هذه المقدمات: مقدمة الجزء الاول من كتابه الموسوم بميزان العقول في المنطق الذي لا يزال مخطوطا، وهذه المقدمة تعد بحق أحسن وثيقة تأريخية لما اشتملت عليه من ترجمته لنفسه، وكذلك وصفه وصفا شاملا للعصر الذي عاش فيه. فقد جاء فيها بعد ذكره لعلم المنطق وأهميته والاشخاص الذين صنفوا فيه، والاسباب التي دعته إلى تصنيف هذا الكتاب قوله:

فشرعت فيه والعين تجري دما والقلب يرشح قيحا، فقد ضاقت بي الأرض ذات الطول والعرض، فلا مأوى التجيء إليه، ولا مرجعا اعتمد عليه، ولا سورا به احتمي، ولا حصنا إليه التجي، لما حل بي من المصائب وكثرة النوائب وسلب الرياش وضنك المعاش وعدم التأييد والسداد وكثرة الخصماء والاضداد وموازاة السفهاء والحساد، والطعن من ذوي الجهل والحقد والعناد. في عشاء ليلتي اتبصر، ولعشاء الاخرى أتفكر، لم أأكل إلا الخبز اليابس كالحجر الجامس، وقد صدر مني وجرى، ولي كبد حرى، أمشي بغير وطني وآوي إلى غير سكني من بلد إلى بلد ومن وديان إلى حماد ومن قرية إلى جماعة[1]، في حال الذل والعناء والمجاعة، ومن ربعة إلى مضيفة بين عقول سخيفة، ليس لهم من الله تعالى خشية وخيفة؛ فلما فرغت منه جاء من فضل الله تعالى ولطفه كتاباً يرشد العقل إلى ادراك أقاصي المشكلات ويهدي الفكر إلى تصور غايات معارج المعضلات. وسميته ميزان العقول في كشف أسرار غوامض حقائق مسائل علم المعقول.

---

(١) الحماد: الأرض للقحلة، والجماعة: القرية الصغيرة.

وكان تأريخ الابتداء به في اليوم الثاني من شهر شوال سنة ١٢٢٠هـ، والفارغ منه ضحى يوم الاثنين ٢٩ صفر سنة ١٢٢١هـ. فمجموع الايام التي تصور فيها أربعة أشهر وسبعة وعشرون يوما.

وان اردت ان تكون في هذا الفن ممتد الباع طويل اليدين والذراع واسع الدارة كثير الاطلاع، فراجع الكتب المنطقية كمنار الافكار، وضياء الاذهان، ومرآة العقول. فان فيها عن مطولات الفن كفاية للطالب، وغنية للراغب. والمرجو ممن اطلع على زلة أن يغفرها أو هفوة أن يسترها؛ لاني شرعت فيه في زمان قد غمر الانام بلاؤه وضاقت عليهم ارض الله وسماؤه، فقد ارتفع جهاله وظلمت عماله، والخلق فيه مكتئبة، والبلاد مضطربة من الخوارج النجدية والفراعنة الوهابية، يقدمهم الطاغي الجحود والباغي الحقود الضال المضل ابن عبد العزيز سعود الجبار العنيد والمبدع له دينا جديد. وقد هربت العلماء منهم إلى الاراضي النائية والامصار القاصية، وقد خلت منهم الديار واستوطنوا اقاصي البلدان والامصار، وبكت عليهم أوطانهم واستوحشت عليهم بلدانهم، فللمداد بكاء ودموع، وللكتب حنين وخشوع، والمدارس قد سدت ابوابها وفقدت طلابها، بل اندرست تلك المدارس وتفرقت تلك المحافل والمجالس، وابيدت عساكر الاشتغال، واحييت سنن القيل والقال، والناس متغيرة الالوان نحيلة الابدان، قد غمرتهم اثواب الذل والهوان وحفتهم جنودا لهم والاحزان، حائرون في انفسهم، يترقبون يوم حتفهم ورمسهم، لما اصابهم من عمالهم واضمحلال احوالهم، لمادهم العراق من الوهابية اولي الكفر والطغيان والنفاق، واصحاب الشرك والبغي والشقاق، فكم اروا فيه الأرض من الدماء، وذبحوا فيه من العلماء والصلحاء، وكم قتلوا فيه من السادة النجباء، فذبحوا العربان، وقتلوا المعدان، ثم هجموا على بلد الحسين عليه السلام وقتلوا فيه قريبا من الفين، وذلك في يوم الغدير من شهر ذي الحجة سنة ١٢١٦ هـ؛ ثم مضت برهة من الزمان والايام، وسطوا على بلد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، في غلس الظلام، فشهر عليهم الحسام وتركهم حول الخندق والسور صرعى نيام، فولى المخذول مكسورا، وذهب الملعون مقهورا متبورا، وقد كانت الوقعة يوم التاسع من شهر صفر سنة١٢٢١هـ. فياله من زمان ما اكلبه، ووقت ما اصعبه، قد خمدت فيه مصابيح الامة، وانزوى الوكلاء من قبل الأئمة، واضمحلت شوكة الدين، واستقامت سلطنة الجاهلين، قد ارتفع فيه الجهلاء وانخفض فيه العلماء، فلا مأوى يلتجئون إليه ولا مرجع يعتمدون عليه، ولا سورا به يحتمون، ولا حصنا إليه يلتجئون، قد رقيت منابرهم ويبست محابرهم وغصبت مناصبهم وتكاثرت مصائبهم وعظمت نوائبهم، وقد عمرت قصور الجهل بصخور الفرح والسرور، وبنيت دور العلم باحجار الذل

والكدور، فالذل قد غمر العلماء، والعز قد كنف الجهلاء، فسبيل الجهل معمورة، وطرق العلم بالاندراس مغمورة، وما احسن ما قاله بعض الاعلام في هذا المقام:

مصائب الدهر كفي ... ان لم تكفّي فخفي
خرجت اطلب رزقي ... وجدت رزقي توفي
فلا برزقي أحظى ... ولا بصنعة كفي
كم جاهل في الثريا ... وعالم متخفي

هذا مع ما انا فيه من تراكم الهموم وتسابق الغموم وتشتيت البال ورداءة الحال؛ ومع ذلك فقد جعلني الاخوان نصب الاعين ومدار الالسن، وسلوة للعاقل، وسالفة للجاهل، فلا زالوا يتجسسون عن معائبي ويستخبرون عن مناقصي ومثالبي، فسدوا علي طرق الرزق، وسنوا علي السنة الخلق، فنفر عني عامة الناس وبعض العلماء والاشراف والاكياس، وانا معهم كما قال بعض العلماء حيث انه يشتكي من الاخوان ويتظلم من الخلان:

واخوان لهم سهم مضيض ... بعرض من سهام الدهر صمّا
يغوا اطفاء نور قد تجلى ... ويابى الله إلا ان يتما
وما طلبوا سوى كتمان ذكري ... وتأبى رفعتي وعلاي كتما
ولو تبعوا سبيلي لاستضاؤا ... بنور هداي في طخياء ظلما
ساعذرهم لأن المرء ضد ... لطود لم يحط بعلاه علما
وكوني فيهم داعي جفاهم ... وانى منهم أعزى وانمى
فان داموا على عكسي وهجري ... افادتهم كسهم حين يُرمى
فلا اخشى لهم في الدهر حربا ... ولا ارجو لهم في الدهر سلما
وذى رأي عديم رام نقصي ... يعادل بي رعاع القوم ظلما
تعادل لا أبا لك بي رعاعاً ... سمعت الدرُّ عادل قطُّ فحما

فلما رأيتهم لا يرتدعون عن اذيتي ولا يمتنعون عن غيبتي، ويطرحون اسمي في المدارس ويطعنون بي في المجالس، وينفرون عني الناس حتى هجرني الاشراف والاكياس. خرجت عنهم بأهلي إلى الحلة. فاتخذتها لي وطنا وصيرتها لي سكنا؛ لأنها كانت للعلم دارا، وان كانت الآن للظلم مقرا وقرارا، ولو اعلم ان لي ذنبا مع الاخوان او تقصيرا مع الخلان لالقيت اليهم عنان

الندم والاعتذار، وترديت بأردية الذلة والمسكنة والاحتقار، واتيتهم ذليلا صغيرا ومستكينا حقيرا، ولكن لا اعرف لي ذنبا سوى الحسد الذي اثاره الشيطان وهيج الاحقاد والاضغان، كما قال القائل:

تعدُّ ذنوبي عند قوم كثيرة ... ولا ذنب لي إلا العلا والفواضل
وقد سار ذكري في البلاد فمن لهم ... باخفاء شمس ضوؤها متكامل
فواعجبا كم يدعي الفضل ناقص ... ووا اسفا كم يظهر النقص فاضل
وطال اغترابي بالزمان واهله ... فلمت أبالي من تغول الغوائل
إذا أنت اعطيت السعادة لم تبن ... وان نظرت شزرا اليك القبائل
ولما رأيت الجهل في الناس فاشيا ... تجاهلت حتى ظن أني جاهل

واعلم أيها الناظر في هذا الكتاب والواعي لهذا الخطاب. باني صنفت لك هذا الكتاب اللطيف والشرح الفائق المنيف، وانا في حيرة، وأمشي على غير بصيرة، فتارة افكر في نفسي لما اصابني من ابناء جنسي، وتارة افكر في أمري لما صنع بي دهري، من تشويش البال ورداءة الحال، ومطالب العيال وارضاء الاطفال، وانا بين قبائل وعشائر، فاقدى العقول والبصائر، ليس فيهم كريم جايد، ولا معروف ذو فوايد، والعالم عندهم لا يطاع، والجاهل عندهم في تحصن وامتناع وعز وارتفاع، هذا مع أن لي عدة من البنات ونيفا من الامهات لا زالت بينهن الفتن والحروب، ولا زلت بينهنّ كثيباً مكروب، ان كانت الفتنة في السماء تراها من دارنا نابعة. كما قال اخو شيبان في بنده:[1]

فامسيت من الجد، حليف الهم والجهد، واصبحت من الناس، على اللئواء واليأس، اعل النفس بالبرق وباللغو من النطق، فلا حر بمنظور ولا نذل بمحقور، وقد عاينت ذا الناس كجثمان بلا راس، حوالي كأنعام إذا قلت، واصداء إذا صحت، قعوداً ووقوفا، وعلى اللؤم عكوفا، لا لهم عز الذي عز، ولا بز الذي بز، وقد حرت بدنياي، وما عاينت الاي، مقيما بين أجناس من الغول ونسناس، وأشباه من الناس، فلا حر توافيه، ولا خل تصافيه، سوى المظهر وداً بفؤاد كظم الغل، وشاء لا تعي القول، ولا تفهم ما العذل، واوغاد بهم ذل الذي قد جمع الفضل، لذا يسكب للنفس دماها، ومن الاعين ماها، وتشال السمهريات على القب الهوادي،

---

(١) يريد به الشيخ حميّد (مصغر) بن الشيخ محمد بن نهاد الشوباني اللعلومي النجفي المشتهر بالشيخ حميّد نصّار المتوفي سنة ١٢٢٥ ـ ١٢٢٦هـ.

بمصاليت عوادي، يستلذون ثرى الرمس، ولا الضيم عن النفس، يجدّون على العلياء ليلا ونهارا.

وعليك يا الهي اعتمد وبك استنصر واستنجد وانت المستعان وعليك التكلان.

❖ ❖ ❖

وبعد: فهذه لمحة من تأريخ حياة هذا العالم المجهول، وترجمة حياته كما ظهر لك من خلال هذه السطور، انها صفحة من تأريخ العراق الاجتماعي والادبي خلال الربع الأول من القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي).

وكان المترجم له حيا في سنة ١٢٢٩هـ وهي سنة تصنيفه لكتاب براهين العقول، ولم نقف على المدة التي عاشها بعد السنة المذكورة.

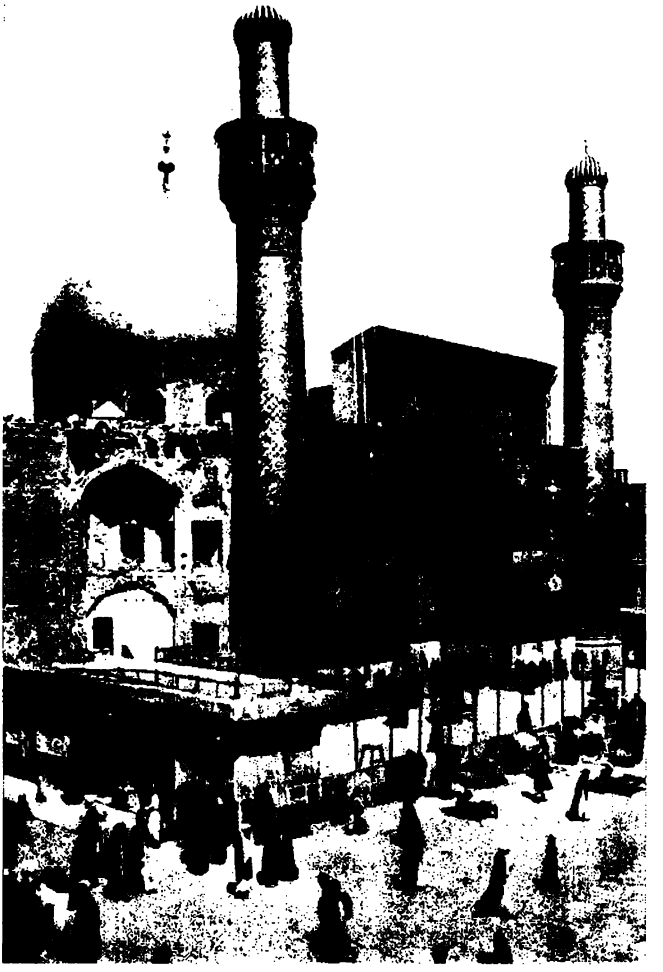

الروضة الحيدرية